بإشراف الشيخ أبي الحسن علي الرملي

تفريغ دروس (القواعد الأربعة)

شرح الشيخ (هادي حماد) حفظه الله

المستوى الثاني

الدرس الأول من شرح القواعد الأربعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله رب العالمين وصلَّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أما بعد:

فهذا **أولُ درس** لشرحِ رسالة "**القواعد الأربعة** " تأليف شيخ الإسلام المُجدِّد محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله - .

وهو ضمن جدول **المستوى الثاني** في معهد الدينِ القيّم بإشراف شيخنا الشيخ علي أبو الحسن الرملي - حفظهُ الله تعالى-.

هذا الكتاب أو هذهِ الرسالة مضمونها وكلامها عن التوحيد

وما يخالف التوحيد وما يناقض التوحيد؛ وهو - الشرك -

ولا بدَّ من معرفة الشرك، ومعرفة تعريفهِ وأنواعهِ وصوره؛

فالشرك كما قيل هو شوكة العين؛

فكما أن الشوكةَ إذا دخلت العينَ فقأتها وأعْمَتها؛ فكذلك الشرك إذا دخل على العبادة أبطلها؛ بل إنّ الشركَ الأكبر يبطل العمل كلّهُ ويحبطه.

فأمرٌ بهذا الخطر وهذا الجلل لا بُدَّ من معرفته؛ إذ قد يقبلهُ من يجهلهُ فلا ينكرهُ ولا يكرههُ وربَّما يقعُ فيهِ - والعياذ بالله -.

والمؤلف - رحمه الله تعالى- بدأ رسالته كما بدأ غيرها بالدعاء للقارئ ؛ وفي هذا تودُّد للقارئ، وبيان حِرص المؤلف - رحمهُ الله - عليه ومحبته للخير.

فقال - رحمه الله - : (**أسْألُ اللهَ الكريمَ ربَّ العرشِ العظيم أنْ يتوَّلاكَ في الدنّيا والآخرة**).

والكريم : هو كثيرُ الخيرِ عظيم النفع؛

ومن معناه: الذي له قَدْرٌ عظيم وشأنٌ كبير ؛ فالله عز وجل هو المُكْرِمُ المُنْعِمُ المتفضِّلُ المُنَزَّهُ عن الآفاتِ والنقائص، والخير كلهُ بيديهِ سُبحانه وتعالى؛ قدرتهُ عزَّ وجلّ عامَّة وعطاءهُ سبحانه واسع؛ وهو ربُّ العرشِ العظيم كما ذكرَ عن نفسهِ سبحانه في كتابه.

والعرشُ معروفٌ وهو سبحانهُ ربُّه أي خالقه ومالكه {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} أي ارتفع سبحانهُ وتعالى

وفي إضافة الربوبيَّة بذكرِ العرش تشريفٌ للعرش؛ مع أن في هذا أيضًا من الفوائد شيء من آداب الدعاء؛ وهو أن تتوَّسلَ بأسماءِ الله وصفاتهِ قبلَ السؤال.

قالَ رحمهُ الله : (**أسالُ الله الكريم ربَّ العرش العظيم أن يتولاك في الدنيا والآخرة**).

والولاية ضد العداوة؛ وإنّ من يتخذه الله عَدُوًّا فهو في عِداد الهالكين، ومن يتخذهُ اللهُ وليًا تحصل له النَّجاة في الدنيا من البدع والشرك والآثام المهلكات؛ وفي الآخرة من عذاب النار وبأساء يوم القيامة؛ لذلكَ ذكر المؤلف - رحمه الله - الولاية في الدنيا والآخرة فقال : (**أن يتوَّلاك في الدنيا والآخرة**)

حتَّى تتذكرَ وتجعلَ ذلك همّكَ الأكبر وهدفك الأسمى.

وأما قولهُ تعالى : {ثُمَّ رُدّوا إِلىٰ اللهِ مَوْلاهُمُ الحَقّ} فهذهِ من الولاية العامَّة وليست من الولاية التي هي ضد العداوة؛ إنمَّا هي بمعنى أنَّ الله هو من يدبّرُ أمرَ الناس لا ربَّ لهم غير الله ولا وليَ لهم غيرهُ سبحانهُ وتعالى.

قال رحمه الله : (**وأنْ يَجعلكَ مِمَّنْ إذا أُعْطيَ شَكَر، وإذا ابْتُلِيَ صَبَرَ وإذا أذنبَ اسْتغفر**)

وذلك لأن الإنسان يدورُ في حياته ويجول في أيامه بين نعمةٍ وابتلاءٍ وذنب؛ فيقابلَ النعمةَ بالشكرِ، والابتلاءَ بالصبرِ، والذنبَ بالتوبة والاستغفار؛ فمن تحقَّقَ بذلك تحقَّق بخيرٍ عظيم؛ لذلكَ قال المؤلف - رحمه الله- :(**فإنَّ هٰؤلاء الثَّلاث عُنوانُ السَّعادة**)

وفي كلِّ خِصلةٍ من الخِصال الثَّلاث من الآياتِ والأحاديث وممَّا يدلُّ عليها وعلى أهمّيتها ما يصعبُ حصرهُ ومن ذلك قوله تعالى : {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ }(1)

وقوله تعالى : {وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ١١}(2)

وفي الشكرِ والصَّبرِ قال رسول الله ﷺ : " عَجَبًا لأمرِ المُؤمن فإنّ أمرهُ كُلَّه خير ؛ إنْ أصابتهُ سَرّاء شَكر فكانَ خيرًا له، وإنْ اصابتهُ ضرَّاء صَبَر فكانَ خيرًا له؛ وليسَ ذلك لأحدٍ إلّا المُؤمن. "

وقالَ سبحانهُ وتعالى في الاستغفار : {وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ }(3)

وقال ﷺ: (يَا أيُّها النَّاس تُوبوا إلى اللهِ فإنّي اتوبُ إلى اللهِ في اليومِ مائة مَرَّة).

وعن بعضِ العلماء في قوله تعالى: {وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ}(4)

قال: التَّوبة

قالَ العلماءُ - رحمهم الله - أمَّا الَّذي إذا أذنبَ لا يستغفر ويستزيد من الذنوب فهذا شقيٌّ - والعياذ بالله - لكن العبد المُؤمن كلمَّا صدرَ منه ذنبٌ بادرَ بالتوبة.

---

(1) [سورة إبراهيم:7]

(2) [سورة الحج:11]

(3) [سورة آل عمران:135]

(4) [سورة سبأ:54]

هذا والله أعلم

وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

الدرس الثاني من شرح القواعد الأربعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين وصلَّى الله وسلم على نبيه محمد وآلهِ وصحبه أجمعين أما بعد:
فبعد تلك المُقدّمة النَّافعة التي تضمنتِ الدُّعاء للقارئ؛ والتنبية على دلائل وعناوينِ السَّعادة شرعَ المُؤلف - رحمهُ الله - بتعريفِ دين الإسلام، وذِكْر العبادة، وبيان ما يناقضُ التَّوحيد
فقال رحمهُ الله:

(اعلَمْ أرشدكَ الله لطاعتهِ أنَّ الحنيفيَّةَ مِلَّة إبراهيم أنْ تَعْبُدَ اللهَ مخلصًا لهُ الدِّين كما قالَ تعالى:{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}.)

قولُه - رحمهُ الله - (اعلمْ أرشدكَ اللهُ لطاعتهِ) في هذا من براعةِ تعليم وَحُسْن التنبيهِ وجَذْبِ هِمَّة السَّامع وفكرهِ ما جاء في كتاب الله عز وجل أي انَّ المُؤلف- رحمهُ الله - اتَّبَعَ ما جاءَ في كتابِ الله وسُنَّة النَّبي ﷺ؛
ومن ذلك قوله تعالى: {اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيْدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}.[المائدة-98]
وقولهُ ﷺ: (اعلمْ أنّ الامَّة لو اجتمعت علي انْ ينفعوكَ بشيءٍ لم ينفعوكَ الا بشيءٍ الَّا قد كتبهُ الله لك..)الحديث

فالتنبيهُ بقول اعلم من حُسْن التعليم وقد ورد في الكتاب والسنة.

وقولهُ:(أرشدك الله لطاعته) يعني وفَّقك فالتوفيقُ والهدايةُ والرَّشاد بيد الله سبحانه وتعالى؛ يهدي من يشاء ويضل من يشاء.

قولهُ - رحمهُ الله - : (أنَّ الحنيفيَّة مِلَّةَ إبراهيم أنْ تعبدَ الله مُخلصًا له الدين)

في هذا بيانُ تعريف الحنيفيَّة وأنها مِلةُ إبراهيم؛ وفي هذا ردٌ على تحريفِ أهل الكتاب وجِدالهم وبيان حقيقة إبراهيم عليه السلام ودينهِ الحق؛ وما كان عليه من عمل وإخلاص ألا وهو دين الإسلام - التوحيد - كما قالَ تعالى: {يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (65) هَاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (66) مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (67)}[آل عمران 65-67]

فبيَّن سبحانهُ وتعالى ضلالَ من ضَلَّ من أهلِ الكتاب والمشركين في إبراهيمَ عليه السلام وأنَّ ابراهيمَ مسلمٌ حنيفٌ مخلصٌ.

وأصلُ معنى الحنيفية: المَيْل

فهي الميلُ عن الشركِ والسيرُ في طريقِ توحيد الله عز وجل وطاعتهِ؛

والحنيفية هي أن تعبد الله مُخلصًا له الدين؛ فجمعت العبادة والاخلاص؛ ولا بُدَّ من العبادة ولا بُدَّ ان تكون هذه العبادة خالصةً لله

لا شرك فيها؛ ولا تُعرَف العبادة إلا من طريق الرُسل؛ فالعبادة توقيفية لا تعرف الا من طريق الرُّسل فكل عبادةٍ لم يأت بها نبينا ﷺ وكل عبادةٍ لم يعرفها الصَّحابة رضي الله عنهم فهي بدعة بل ضلالة وكل ضلالة في النار؛ فيتحقَّقُ بالحنيفية توحيد الالوهية فهي تتضمن ذلك

فالحنيف لا يعبدُ غير الله والحنيفية اخلاص الدين لله؛ وفيها ايضًا توحيد الاتِّباع

فالحنيفية عبادة؛ فيها عبادة اي عبادة الله وحده، اخلاص الدين لله

وتوحيد الاتباع أن تتَّبع النبي ﷺ فلا تأخذُ عبادةً تعبدُ الله بها إلا وقد جاءت عن رسولنا ﷺ؛ إلا وقد صحَّت عن رسولنا ﷺ؛ هذا هو توحيد الاتِّباع كما قال ابن القيِّم - رحمه الله -:

فلواحدٍ كُن واحدًا في واحدٍ **** أعني سبيل الحق والإيمان**

فلواحد: اي لله عز وجل

كن واحدًا يعني عملك ولواحد همتك واخلاصك لواحد

كن واحدا مخلصًا

في واحدٍ يعني في صراطٍ مستقيمٍ واحد وهو طريق النَّبي ﷺ جاءنا عن السلف رضي الله عنهم

أعني سبيل الحقِّ والايمان

اي لواحد في واحد كن واحد

أعني سبيل الحق والايمان

فالحنيفيةُ نعم تعريفها ما ذكره المؤلف - رحمه الله - : أن تعبدَ الله مخلصًا له الدين

فلا بُدَّ من

- **معرفةِ العبادة**
- **ومعرفةِ الاخلاص**
- **ومعرفةِ الدين**

العبادة: هي كلُ أمريحبه الله ويرضاه من الأقوالِ والاعمال الظاهرة والباطنة.

والإخلاص: تكون هذه العبادة خالصة من الشرك؛ لا شرك فيها يرادُ بها وجه الله ولا يعبد بها غيرالله.

مخلصًا له الدين: يعني العمل؛ فعملك عبادتك تكون خالصةً لله عز وجل ولا تستطيعُ أن تعرف هذه العبادة من الاقوال والاعمال الظاهرة والباطنة الا عن طريقِ النّبي ﷺ فلا بُدَّ من توحيد الاتباع لا بُدَّ من الابتعاد عن الابتداع وتجنبِ البدعة.

ثم قال - رحمهُ الله -:(كَما قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ})

نعم فبيَّنَ الله عز وجل في هذه الآية الكريمة الغايةَ التي خلق الجنَّ والانس لها، وبعث بها جميع الرسل والانبياء وهي عبادتهُ سبحانه وتعالى بإخلاص الدِّين اي العمل له؛ وذلك يتضمنُ محبتهُ ومعرفتهُ والاقبال عليه والاعراض عمّا سواه

{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}.

قال - رحمهُ الله - : (فإذا عرفتَ أنَّ اللهَ خلقكَ لعبادتهِ فاعلمْ أنَّ العبادةَ لا تسمى عبادةً إلَّا مع التوحيد)

أي بِما أنك قرأت هذه الآية (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) وفهمتَ معناها ووعيتَها فيجبُ عليك أن تفهمَ معنى العبادة وشرطها؛ عرفتَ أنَّ الله خلقكَ لعبادته فيجبَ عليكَ أنْ تفهمَ معنى العِبادة، ويجبُ عليكَ أنْ تعرفَ شرطها حتى تكونَ عبادة شرعيَّةً يقبلها الله عزوجل.

ولا بُدَّ ان تعرفَ أن هذهِ العبادة لا تُسمَّى عبادة - أي عبادةً حقيقيَّة شرعيَّة مقبولة - وإن كانت في صورة العبادة؛ فهي في صورتها عبادة لكنَّها ليست عبادة شرعيَّة إلَّا مع التوحيد.

فالرسولُ ﷺ قال لرجلٍ: (ارْجِع فصلِّ فإنَّكَ لم تصلِّ)

وإن كانت صلاتهُ في الظاهر صلاة؛ لكن لمَّا خلت عن بعض الشروط قال له: لم تصلِ - أي صلاةً شرعيَّة-

لذلك جاءَ في كتاب الله {لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ}

هم يعبدون لكن هذه العبادة ليست ماذا؟ شرعيَّة

هي لا تُسمَّى عبادة أي عبادة شرعية؛ هي كانت في ظاهرها عِبادة لكنَّها ليست عبادة يُؤْجر عليها.

فالعبادة لغير الله عز وجل تُخَلّدُ الإنسانَ في النار إن لم يتب في الدنيا ويوَّحدُ الله عزَّ وجل

فلا بُدَّ من التَّوحيد؛ **توحيد الألوهية وهو إفراد الله بالعبادة** وأن تكونَ هذه العبادة مِمَّا شرعهُ الله في دينه؛ فلا تكون هذه العبادة من البِدع؛ ومعرفةُ ذلكَ لا يتمُّ من غير معرفة الرسول ﷺ ومنهج السلف كما تقدم

ثم ضربَ لكَ مثلًا فقال:

(كَما أنّ الصَّلاةَ لا تُسمَّى صلاةً إلَّا مع الطَّهارة)

إلا مع وجود شرطِها؛ لا تُسمَّى صلاة، كما قلنا في ظاهرها صلاة لكنَّها ليست صلاة شرعيَّة مقبولة؛ رأى رجلا يُصلي، فلما سلّم قال له ارجع فصلِّ فإنك لم تُصَلِّ.

قال:(**فإذا دخلَ الشركُ في العبادةِ فَسدتْ كالحدثِ إذا دخلَ في الطَّهارة**).

الشرك إذا دخلَ في العبادة إذا كان شركًا أصغرًا كالرِّياء فسدت العبادة وهناك يعني صور يذكرها الفقهاء يعني بانها تفسد جزءًا ولا تفسدُ الآخر ونحو ذلك لكن المراد التفرقة بين الشرك الأصغر (الرِّياء) والشرك الأكبر.

الشرك الأصغر (الرِّياء) إذا خالطَ عمل المسلم فإنه يُبطل هذا العمل؛ لا يبطل سائر أعمال المسلم.

لكن الشرك الأكبر -الفقهاء اختلفوا مثلًا إذا دخل الرياء في جزء من صلاة العبد ولكن لم يختلف العلماء أنه إذا دخل الشرك الأكبر في جزء من عمل الرجل- فإنه يبطل هذا العمل ويبطل سائر أعمال ذلك الرجل.

فالشرك الأكبر يحبط العمل كله؛ يخلد العبد في النار.

ثم قال - رحمه الله -: (**فإذا عرفتَ أنَّ الشركَ إذا خالطَ العبادةَ أفسدها وأحبطَ العمل وصارَ صاحبهُ من الخالدينَ في النَّار؛ عرفت أن أهم ما عليك معرفة ذلك لعلَّ الله أن يخلصك من هذه الشبكة وهي الشرك بالله الذي قالَ الله تعالى فيه: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرَ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ}**)

فانظرْ إلى هذه المقدّمة كيف يترتَّب بعضُها على بعض؛ ومعرفتك لبعضها يَدُلُّك ويلزمكَ لمعرفة غيرها؛ فبمجردِ أن عرفتَ أن الله خلقك لعبادتهِ قادكَ ذلك إلى معرفة العبادة والإخلاص والشرك؛ فتقوم بأول واجب على العبيد وهو التوحيد؛ كما قال الشيخ الحكمي - رحمه الله -:

أول واجبٍ على العبيـــــدِ ... معرفة الرحمن بالتوحيدِ
إذ هو من كلّ الأوامرِ أعظمُ ... وهو نوعانِ أيًا من يفهمُ

أي توحيد المعرفة والإثبات، توحيد الربوبيَّة وتوحيد الأسماء والصفات

ولذلك ما يناقضه من الشرك

يعني توحيد الربوبيَّة له ما يناقضه من عدم اعتقاد وجود خالق؛

أو اعتقاد وجود خالق مع الله؛ ذلك مناقض مضاد لتوحيد الربوبية

كذلك توحيد الأسماء والصفات كالتعطيل والتشبيه

والنوع الثاني: وهو نوعان أيا من يفهم

الأول توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات

النوع الثاني هو توحيد الألوهية وما يناقضهُ من العمل شيئان:

- الشركُ وعبادةُ غير الله.
- والإعراض الكامل عن عبادة الله.

الإعراض عن عبادة الله يُناقض توحيد العبادة - توحيد الألوهية -
هذان يناقضان توحيد الالوهية ويُخلِّدان العبد في النَّار.

قال- رحمهُ الله -:(**وذلكَ بمعرفةِ أربع قواعد ذكرها الله في كتابهِ**)
أي استدلال إنما هو بكتاب الله لا أبتدع ولا أخْتَرِع شيئا من تلقاء نفسي
هذه القواعد التي يريد أن يعلمكَ إياها إنمَّا هي من كتاب الله لم يأتِ بها المؤلف - رحمه الله - من عند نفسه؛ لم يخترعها كما اخترع كثير من أهل الكلام قواعد باطلة وأصولًا ليست باطلة فحسب؛ بل زِد على ذلك مُخالفة لما أصَّلَهُ الكتاب والسُّنة وما جاء عن السلفِّ.

نعم نقف هنا نقرأ القاعدة الأولى والثانية في الدرس القادم إن شاء الله
والله أعلم

وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

الدرس الثالث من شرح القواعد الأربعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العالمين وصلَّى الله على نبيهِ مُحمَّد وآلهِ وصحبهِ أجمعين. أمَّا بعد :

قالَ - رحمه الله -: (**القاعدة الأولى: أنْ تعلمَ أنَّ الكفَّارَ الَّذين قاتَلَهُم رسولُ اللَّهِ ﷺ مُقِرُّونَ أن الله تعالى هو الخالقُ المُدَبِّروأنَّ ذلكَ لم يُدْخِلهم في الإسلام**).

أي أَنَّ الكُفَّار الذين قاتلهم رسولُ الله ﷺ وحاربَهم وأظهرَ لهم أنَّهم على ضَلال وعلى شِرك وعلى كُفر، وأنهم مُضَادُّون مخالفون للتوحيد، هم مقرُّونَ بتوحيدِ الربوبيَّة؛ وتوحيد الربوبيَّة هو: **إفراد الله بأفعال الربوبيَّة كالخلق، والرزق، والتدبير**

فهؤلاءِ المُشركونَ ينسبونَ كلَّ ذلكَ لله، لا يُشركونَ في الربوبيَّة.

قال العلماءُ - رحمهم الله - ليسَ هنا أحدٌ أشركَ في الربوبية إلا شَواذ من الخلق؛ فالمشركونَ مُقرُّونَ بأن اللهَ هو الخالق الرازق، لا خالقَ إلَّا هو سبحانه؛ ولكن كان شركهم في العِبادة اتَّخذوا أصنامًا أو أولياء أو قبوراً أو نحوَ ذلك شُفعاء فعبدوها مع الله.

قال - رحمهُ الله – "**والدليلُ قولهُ تعالى: {قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ}**".

أي اتَّقوا الله واعبدوهُ وحده إن كنتم أقررتم بوحدانيتهِ في الربوبيَّة فأفردوهُ ووحدوهُ بالعبادة وإلا فأنتم مُتناقضون؛ لذلكَ كان توحيد الربوبيَّة من أدلةِ وجوب توحيد الألوهية كما قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ} فدَلَّ بخلقهم على وجوبِ إفرادهِ سبحانه وتعالى بالعبادة، كان ذلك أولَ أمرٍ في سورة البقرة.

فهؤلاءِ المشركون هُم مُقرُّون بإفراد الله عز وجل بالخلق، وأن لا خالق إلا هو، ولا رازق إلا هو وأنَّه مالك السَّماوات مالك الأرض، وأن لا مالك للسَّماواتِ والأرض إلا هو؛ لذلك هذه القاعدة كما قال العلماءُ في بَيانها والكلام عنها قالوا ليس التَّوحيد هو الإقرارَ بتوحيد الربوبيَّة كما يقول ذلك علماء الكلام والنُّظَّار في عقائدهم وأن الشرك فيقولون أن تعتقد أن أحدًا يخلق مع الله أو يرزق مع الله.

نقولُ هذا الكلام ما قاله أبو جهل وأبو لهب؛ هذا كلام كبير؛ وأبو جهل وأبو لهب ما قالوا إنَّ أحدًا يخلقُ مع الله ويرزقُ مع الله؛ بل هم مُقِرُّونَ أنَّ الله هو الخالق الرازق المحيي المميت؛ وكان ضلالهم وكان شِركهم من بابٍ آخر؛ ليسَ من بابِ اعتقاد وجود خالِقَيْن أو من باب اعتقاد وجود شريكٍ مع الله في الربوبية؛ بل كان شِركِهم في عبادةِ غيرِ الله سبحانه وتعالى.

اذن هذه القاعدة مُهمَّة؛ مُهمَّةٌ جدًا إذ كثيرٌ من النَّاسِ اليومَ يَظنُّونَ أن الإنسان بِمُجرَّد اعتقادهِ أنَّ الله هو الخالق لا خالق إلا هو لا ربَّ إلا هو سبحانه وتعالى هم قد دخلوا في الإسلام وآمنوا الإيمانَ الواجب، وإن فعلوا ما فعلوا من الشِّركِ عندهم هم مقرون بوجود الله، بل إنَّ بعض الضَّالين وبعض الجاهلين يظنُّونَ أنَّ بمُجرد أنَّ الإنسانَ آمن بوجودِ اللَّه بوجود الخالق وأنه واحد؛ فهذا لا يجوز تكفيره بأي حال ولو اعْتقدَ من ما اعْتقدَ من طرقٍ تُقَرِّبُه إلى هذا الخالق من أديان أخرى وشرائع أخرى ليست دين الإسلام؛ بل كانَ على دين آخر؛ أو كان ينسبُ نفسه للإسلام لكنه يعبد القبور فيقولونَ هذا آمَنَ بوجود الله ولم يقل إنَّ مع الله إلهاً آخر في الخلق والرزق والتدبير؛ لا يجوزُ أن يُقال هذا كافر ولا يجوز أن يُقال هذا مُشرك؛ هذه من شُبهات اليوم لذلك هذه القاعدة مهمة جدًا أن نعلمَ أنَّ الكفار الذينَ قاتَلَهُم النَّبي ﷺ هم مقرُّونَ بتوحيدِ الربوبيَّة هم يؤمنونَ بوجود خالق لهذا الكون وأنه واحد؛ يُؤمنونَ باللهِ عز وجل مقرُّون بتوحيد الربوبيَّة كما قال - رحمه الله – نعم مقرُّون بأن الله تعالى هو الخالق المُدبِّر وأن ذلك لم يدخلهم في الإسلام.

هم مُقِرُّونَ بأنَّ اللَّهَ هو الخالق المدبر، آمَنُوا بهذا التوحيد بالربوبيَّة.

هل آمنوا بالله عزَّ وجل حقيقةً؟

هل آمنوا بدين الاسلام؟

هل انقادوا له بالتَّوحيد واستسلموا للهِ عزَّ وجل بالطاعة، تبرأوا من الشرك وأهله؟

الجواب: لا؛ هذا لم يحصل عندهم.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للَّهِ رب العالمين وصلَّى الله وسلم على نبيه محمد وآله وصحبه أجمعين

امَّا بعد :

قال رحمه الله : (القاعدة الثانية أنهم يقولون : ما دَعوناهم وتوجهنا اليهم إلا لطلب القُرْبَة والشَّفاعة)

بعد أن بيَّنَ المُؤلف - رحمه الله - بالدليل الواضح من كتاب الله عز وجل إقرار هؤلاء المشركين بوحدانية الله عزَّ وجل في ربوبيتهِ وأنَّه واحدٌ سبحانه وتعالى في أفعاله فلا خالقَ معه ولا رازقَ معه ولا يشاركهُ في مُلكِ السماوات والأرض أحد من الجن والإنس وسائر المخلوقات؛ فهؤلاء المشركون بدليلِ الكتاب مُقرُّون بوحدانية الله عز وجل في ربوبيتهِ وأنه لا خالقَ معه سبحانه وتعالى.

فبعد أن بيَّنَ ذلك - رحمهُ الله تعالى - ذكر شُبهتَهم وقولهَم وذكرَ تعليلهم عبادة غير الله سبحانه وتعالى فقال - رحمهُ الله - : أنّهم يقولونَ أنَّهم لم يَدعوا هؤلاءِ المعبودينَ من دون الله ما يُسمّونه بأولياء ونحو ذلك من الأسماء التي زُخرِفَت وحُسِّنَت عند كثيرٍ من النَّاس؛ فزعمَ هؤلاء أنَّهم لَمْ يدعوهم دُعاء عِبادة ولم يتوجَّهوا إليهم بقلوبهم مُتوكِّلين خائِفين راجين مُحبِّين خَاشعين إلا لِطلب القُربة والشفاعة.

عندَ مَنْ؟

عندَ الخالقِ الواحد الَّذي يُقِرُّونَ بهِ كما تقدَّم في القاعدة الأولى؛ وهم يَتقرَّبون بالعبادةِ إلى بعض المخلوقاتِ لِيقرِّبوهم منَ اللَّه وليشفعوا لهُم عند الله عزَّ وجل.

وذبحُهُم للأولياء عند قبورهِم وطوافُهم بها ونذرهُم لهم، وخوفهم ومحبَّتهم ورجاؤهم والتعبُّدِ إنما هو طمعٌ في قُربةٍ إلى الله وشفاعةٍ لديه؛ فتركوا العزيزَ الغنيَّ المُتعالِ وتوجَّهوا إلى مخلوقٍ فقيرٍ محتاجٍ إلى اللَّهِ عزَّ وجل في كل أوقاتهِ وأحيانهِ

{أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}

قالَ سُبحانهُ وتعالى :{وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ}.

قالَ- رحمهُ الله- **فدليلُ القُربةِ قولهُ تعالى : { وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ}**

مَن يَقرأ هذه الآية في سُورة الزُّمرَ يجدُ في بدايتها قولهُ تعالى: { أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ}.

تذّكرتُم معنى الحنيفيَّة؟

{أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ} أنْ تعبدَ الله مُخلصًا له الدِّين

أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِص؛ فهذا هو المطلوب من العِباد التَّوحيد الصَّافي الخالي من الشِّرك.

قالَ العلماءُ - رحمهم الله - : لمَّا ذَكرَ الله جلَّ وَعَلا إخلاص العِبادة لهُ وحدهُ يعني في هذه الآية : {أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى} قالَ العلماءُ : لمَّا ذكرَ جلَّ وعلا إخلاصَ العبادة له وحده بيَّن شُبهة الكفَّار التي احتجُّوا بها للإشراكِ به تعالى في قوله : {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى}

والزُّلْفى: القَر بة؛ أي لِيقرّبونا إليه قرابةً تنفعنا بشفاعتهم.

قال العلماءُ - رحمهم الله - : هذا النَّوع من ادّعاءِ الشُّفعاءِ واتِّخاذِ المعبودات من دون الله وسائط " أَصلٌ من أُصولِ كُفر الكفَّار" .

هذا الأصلُ الذي سُمِّيَ بمحبَّة الصَّالحين، وسُمِّيَ بطلبِ الشَّفاعة، وسُمِّيَ بالوسيلة، واحْتجُّوا عليه بكسرهِم بضعفهم وكثرة ذنوبهم ونحوَ ذلكَ من الحُجج؛ ليتوَجّهوا إلى غير الله لطلبِ شفاعة أو طلب قُرْبة ليرضى عنهم الله أنهم احتاجوا وسائط؛ زعموا أنهم لا يستطيعون بأنفسهِم الطَّلبَ من الله عزَّ وجل لكثْرةِ ذنوبهم ونحو ذلك فاتَّجهوا إلى غير الله، سَمَّوا هذه الأمور سمَّوا هذا الشرك هذا الأصل من أصول الكفر سمّوه بالوسيلةِ ومحبة الصالحين، وطلب الشفاعة ونحو ذلك؛ وهو أَصلٌ من أُصولِ الكفر،أصلٌ من اصول الكفر؛ ويتوجَّهون بالعبادة بالذَّبح بالنَّذر بالمحبة بالخوف والرَّجاء والطواف والاعتكاف وغير ذلك يتجهونَ بالعبادةِ إلى غير الله؛ يريدونَ من ذلك المخلوق أن يُقربّهم إلى الله بشفاعةٍ منه.

وبيَّنَ الله عزَّ وجل في هذه الآية أنَّ هؤلاء بلغوا من الكَذِب والافتراء وحصلَ فيهم من المُبالغة في الكُفرِ شيءٌ كبير؛ كَذَبَة بالغوا في الكفر {إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ}

كاذبٌ في دَعْواهُ؛ كاذبٌ في زعمِهِ أنَّ هذا ينفع؛ أنَّ هذا مشروع ؛ أنَ هذه شفاعةٌ شرعيَّةٌ؛ أن هذا من محبَّة الصالحين، أنَّ هذا يرضاهُ الله عزَّ وجل.

كَفَّار بَلَغَ بالكفرِ مبلغًا كبيرًا؛ إذ عَبَدَ غير الله سبحانه وتعالى فقالَ سبحانهُ: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ}.

قالَ - رحمهُ الله - : (**ودليلُ الشَّفاعةِ قوله تعالى :{وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ }.**)

بعدَ أن ذَكَرَ - رحمهُ الله دليلَ القُربة ذكر دليلَ الشَّفاعة؛ فهؤلاءِ المشركون يعبدون غير الله؛ ويقولون نحنُ نعلمُ أنَّ هذا الوليّ عبدٌ مخلوقٌ من عباد الله عزَّ وجل؛ ولكن هو رجلٌ صالح رجلٌ تقي، هذا على زعمهم مع أن بعضهم كانَ تقيًّا وبعضهم في الأصلِ كانَ فاجراً ولكنَّه صار من كِبار أوليائِهم حتَّى وصلَ الأمر ببعضهم أن يعبدوا قبراً فيه حمار؛ ذلكَ من القصص التّي ذكرها بعض مشايخ أهل السنَّة والجماعة، فيقولونَ هو رجلٌ صالح نريدُ أن يشفعَ لنا في حاجاتنا.

كذلكَ ممَّا ورد عن بعضهم أنهم يتَّجهون إلى قبر معبودهم بقولهم: أيَا عِباد الله الصَّالحين، جئناكم خاشعين فلا تَردُّونا خائبينَ؛ فاقضوا حوائجنا واشفعوا لنا عند الله، ها نحنُ جئناكم بالخشوعِ والتوَّسل أقبلنا عليكم بقلوبنا،أحضرنا معنا البقر لنذبَحها لكم عندَ قبرِكم و سفكنا على قبركم نذرنا باسمكم! اطلبوا من الله أن يحمي الولد في بطن زوجتي، أن يُدخلني الجنَّة أن يرزقني كذا وكذا، أن يَرضى عني، أن يَهْدِيَ شخصًا أُحبّه؛ أن يصلحهُ ونحو ذلك...

لا يذهبون في الغالب -العامَّة أحيانًا- لا يذهبونَ إلى هذا المقبور ويقولون يا مقبور يا فلان: أَنْزِل المطر؛ لأنهم مُقرُّون أن إنزال المطر بيد الله عزَّ وجل، هم يريدون القُربة والشَّفاعة عندهم.

نعم، بعضهم قد يطلبُ ما لا يستطيعهُ هذا المخلوق، هذا شِرك من المخلوقين.

وعلى كلِّ حال وفي كلِّ حال لا يجوزُ مُناداة المقبورين، ولا يجوزُ التَّوجهُ إليهم بدعاء؛ ولا النَّذرُ لهم ولا الطَّواف بقبورهم أو الذبح لهم.

هم يتقرَّبون لهم بالذَّبح والنَّحر والطَّواف والخوف والرَّجاء والنَّذر والمحبَّة والخشوع والاعتكاف وغير ذلك من العبادات؛ راجينَ شفاعتهم طالبينَ شفاعتهم عند الله، ثُمَّ إذا أَنكرتَ على بعضهِم قالَ لكَ: أنتَ تُنكرُ محبَّة الصَّالحين أنتَ تنكرُ الوسيلة ألم تقرأ قوله تعالى؟

الله أمرنا أن نبتغي الوسيلة.

نعم نحنُ لا ننكرُ محبَّة صالحٍ محبَّةً شرعيَّةً محبَّةً مَشروعةً؛ ولكن نُنكرُ الغلوَّ، وننكر عبادة غير الله مع الله؛ نعم نُحب الصَّالحين ونقرأُ آثارهم ونستفيدُ من مواعظِهم ونحبُّهم في الله ولله؛ ولكن لا نعبدهُم مع الله، لا نطلبُ منهم في حياتهم ما لا يَقدِر عليه إلَّا الله؛ ولا نطلبُ منهم بعد موتهم شيئا بل نحن ندعو لهم.

وأنتَ إذا أردتَ أن تطلبَ من شخص شيئا لا بُدَّ أن يكون حيًّا؛ ولا بُدَّ أن يكونَ موجودا؛ حتى لو لم يكن موجودًا أمامك لكن بالهاتف مثلا؛ تُنادي عليه وأنت في غرفة تظنُّ أنَّه يسمعكَ كما يسمع الله كلّ شيء هذا شِرك، كما يقول بعضهم: يا فلان (مَدَدْ مَدَدْ)! وهم في حاجةٍ إلى غوثٍ ونحو ذلك.

- فلا بُدَّ أنْ يكون حيًا
- ولا بُدَّ أن يكون موجودًا يسمعكَ بأنه أمامك أو على الهاتف؛ أو نحو ذلك
- ولا بُدَّ أن يكونَ هذا الشيء الذي تريدُ أن تطلبهُ منه شيئا يقدِرُ عليه؛ أحْضِر لي كذا من السَّيارة، هل تستطيعُ أن تُساعدني في كتابة كذا في فعلِ كذا في صنع كذا؟

لا تقل لهُ ما لا يقدِر على فعلِهِ إلا الله عزَّ وجل هذه ثلاثة شروط مهمَّة:

- **أن يكونَ حيًا.**
- **أن يكونَ موجودًا سامعًا له.**

- **وأن يكونَ هذا الشيء ليس من الأشياء التي لا يَقدِر على فعلها إلا الله عزَّوجل؛ أفعال الربوبية؛ أفعال الله سبحانه وتعالى.**

نحن لا ننكرُ ابتغاءَ الوسيلة؛ لكن ما هي الوسيلة؟

الوسيلة هي العبادة المشروعة التي تُقَرّبك من الله؛ ليست الوسيلة واسطة رجل ميت في قبره... تجعلهُ بينك وبين الله؟ تعبدهُ ليقرّبكَ إلى الله؟

حتَّى الرُّسل هم واسطة في إبلاغ الرسالة ولكن ليسوا واسطة في التقرُّب إلى الله بالعبادة؛ هذا فقط لله سبحانه وتعالى {أَلَا لِلّهِ الدِّينُ الخالِص}.

ثُمَّ قالَ - رحمهُ الله -: **(والشَّفاعةُ شفاعتان:**

شفاعةٌ مَنفيّة وشفاعةٌ مُثبَتة؛

- **فالشفاعة المنفيّة ما كانت تُطْلَب من غير الله فيمَا لا يقدِر عليه إلَّا الله والدليلُ قولهُ تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمونَ}**

- **والشفاعة المُثبتةُ هِيَ التي تُطلَبُ من الله والشافعُ مُكْرَّم بالشفاعةِ، والمشفوعُ لهُ من رضِيَ الله قولهُ وعملهُ بعد الإذنِ كما قالَ تعالى : {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ})**.

فالشَّفاعةُ جاءت في كتاب الله منفيَّةً وجاءت مُثبتة؛ إنَّما نُفيت في كتاب الله تلكم الشفاعة التي تضمنت شِركا؛ كالذهاب إلى قبرِ رجلٍ وعبادتهِ لطلب الشفاعة فهذه شفاعة منفيَّة، هذا شركٌ في العبادة.

فهو يطلبُ من غير الله ما هو ممَّا حرّمه الله عزَّ وجل؛ يطلبُ من غير الله ما لا يقدِر عليه إلا الله نعم.

فالشفاعةُ المنفيَّةُ: هي ما تَضَمَّنت شِركا، أو كانت بغيرِ إذن الله؛ كانت تُطْلَب من غير الله فيما لا يَقْدِرُ عليه إلَّا الله شفاعة بغير اذنه.

والشفاعة المُثْبتة: هي التي تكون لأَهلِ التَّوحيد؛ فيوم القيامة تكونُ لأهل التَّوحيدِ بإذنِ الله عزَّ وجل ممَّن رضيَ الله عزَّ وجل له أنْ يشفع؛ فإذا أراد النبي ﷺ أنْ يشفعَ لأهل الموقف يوم القيامة يسجدُ ﷺ، ويدعو الله ويُثني عليهِ حتى يُقال له عليه الصلاة والسلام: ارفع رأسك وقل تُسْمَع واشفع تُشَفّع، فقال النَّبي ﷺ فيما جاء عنه: فَيُحد لي حَدّاً؛ حتَّى في الشَّفاعة له حدٌّ ﷺ في صفات هؤلاء القوم؛ فلا يَشفع النَّبي ﷺ إلا بعد الإذن؛ ولا يشفع من بعدهُ عليه الصَّلاةُ والسلام من الصدِّيقين والشهداء والملائكة إلا بإذن الله عزَّ

وجل لقومٍ من أهلِ التَّوحيد أراد الله أن يغفر لهم؛ أراد الله عزَّ وجل أن يرفعَ قدرَ هذا الشافع ويغفر لهذا المشفوع له،

الشافعُ مُكرَّم بالشفاعة؛ والمشفوع له رضيَ الله عنه وأرادَ أن يغفرَ لهُ أو يرفعَ مكانهُ أو نحو ذلك بشفاعة الشافع.

فلا يُشفَعُ لمشرك أن يخرج من النَّار أو لا يُعذب في النَّار شفاعة مُثبتة أن لا يُعذَّب في النَّار أو يدخل الجنَّة؛ فالشفاعة المُثبتة لأهل التوحيد بإذن الله عزَّ وجل نعم.

فهذه هي القاعدة الأولى فهؤلاء طَمعوا بالشَّفاعة لكن لم يفقهوا معناها؛ طمعوا بالوسيلة ولكن لم يفهموا المُراد؛ طَمعوا بالقُربة ولكن فهموا من ذلك غيرَ المُراد ذهبوا إلى مخلوقين وعِباد من عِبادِ الله؛ تَقرَّبوا إليهم وتوَّجهوا إليهم بالعبادة؛ العبادة البدنيَّة والعبادة القلبيَّة ليُحَصِّلوا شفاعةً منهم والله عزَّ وجل نفى هذه الشفاعة؛ وبيَّن أنَّ فعلهم شِرك وأنَّهم كاذبون مُبالغون في الكفر.

فهذهِ القاعدة فيها بيان شُبهة من شبهاتهم؛ بل أصل من أصول الكفر وتعليلهم لِما يقومون به من عبادة غير الله. واللهُ أعلم.

وصلى الله على نبيه محمد.

الدرس الرابع من شرح القواعد الأربعة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمدُ للهِ رب العالمين وصلَّى الله وسلم على نبيه محمد وآلهِ وصحبهِ أجمعين
أما بعد:

قال - رحمه الله- :(**والقاعدة الثالثة أنَّ النَّبي صلَّى الله عليه وسلم ظَهَرَعلى أُنَاسٍ مُتفرقينَ في عِباداتهم مِنهم مَنْ يعبدُ الملائكة ومِنهم مَنْ يعبدُ الأنبياءَ والصَّالحين ومنهم من يعبدُ الاشجارَوالاحجارَومِنهم من يعبدُ الشَّمس والقمروقَاتَلهُم رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلم ولم يُفرِّق بينهم والدليلُ قوله تعالى :{وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّهِ }**.

بَيَّنَ المُؤلف - رحمه الله - في هذهِ القاعدة اختلاف المشركين في معبوداتهم، وتنوّعهم في عبادتهم لغير الله عزَّ وجل فليسوا على شاكلةٍ واحدة في جنسِ ما يعبدونهُ؛

- فمنهم من يعبدُ الملائكة،
- ومنهم من يعبدُ القمر،
- ومنهم من يعبدُ الشجر،
- ومنهم من يعبد الحجر،
- ومنهم من يعبد القبر والقبور والأنبياء والصالحين

كلُّ هذا بيَّنهُ المُؤلف - رحمهُ الله - في هذهِ القاعدة لِئَلا يظن ظانٌّ أنَّ الشركَ محصور في عبادة حجر أو صنم فلا وجود لشرك في العالم إلا من هذا النَّوع فلا يدخل فيه من صرَف نوعا من أنواع العبادة لرجل صالح؛ فطاف بقبرهِ مُتقربًا له؛ أو ذبح له راجياً شفاعةً وطالباً قربةً من الله عزَّ وجل؛ ذبحَ له راجياً أن يشفع هذا المذبوح لهُ عند الله عزَّ وجل لِيقرِّبهُ من الله عزَّ وجل.

فبيَّن المُؤلف أنْ لا فرقَ بين عِبادة حجر وعِبادة وليّ؛ فالشِّركُ في العبادةِ هو صرف أيّ نوع من أنواع العبادة لغير الله وإنْ كان رسولاً مرسلًا؛ وإن كان مَلَكًا مُقَرَّباً؛ وإنْ كانَ رجلًا صالحاً فكلُّ من صرفَ عبادة لغير الله عز وجل فقد أشرك بالله، وفعلَ الذَّنبَ المُهْلك الذي يخرجهُ من الإسلام الذَّنب الذي لا يغفرهُ الله عزَّ وجل إلا بتوبة من صاحبه في الدنيا { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ }.

فكيفَ يُحْصَر الشِّرك بعبادة حجرٍ أو صنم؛ بأي شرعٍ بأي دليلٍ فُهِمَ هذا؟

لا شكَّ أنَّ هذا الفَهم من أبعدِ الضَّلال وأشدِّ الانحلال عن دين الله عزَّ وجل؛ إذ جعلوا العبادة والعملَ والدِّين لغيرِ الله عز وجل جائزًا إذا كان لولِيٍ أو رسولٍ أو رجلٍ صالح هذا دليل المؤلف رحمهُ الله {وَقَاتِلُوهُمْ} يعني المشركين

{حتَّى لا تكون فتنة} يعني شِرك

{وَيَكُونَ الْدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ}؛ أي العمل والعبادة فلا يُجعل فيها حصة ولا جزء لغير الله عزَّ وجل

وقوله تعالى : {حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنِةٌ} هذا عامّ في أنواع الشرك.

قالَ - رحمهُ الله - :(ودليلُ الشَّمسِ والقمر قوله تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ}.)

أي اللَّيلُ والنَّهار وحركتهما ومجيئهما وما يحصلُ فيهما: من آياتِ اللّهِ عزَّ وجل؛ والشَّمس والقمر وعجائبُهما من آيات الله سبحانه وتعالى ومخلوقاتهِ، ودلائلِ توحيده؛ وبديعِ خَلْقه دلَّت على وجوبِ إفراده بالعبادة.

فإذن لا تسجدوا للشَّمسِ ولا للقمر فإنَّ الشَّمسَ والقمرَ من مخلوقات الله يَتصرَّفُ اللهُ بالشمسِ والقمر كما يشاء، ويأمرهم بما يشاءُ سبحانه وتعالى.

فلذلكَ نَهى الرَّسول ﷺ عن الصَّلاةِ عند طُلوعِ الشَّمسِ وعند غروبها سدًا للذريعة؛ لأنَّ هذا كان موجوداً عند أقوام كانوا يعبدون الشَّمسَ والقمر؛ وقد نُهينا عن التشَّبهِ بالمشركين فَسَدَّ الذريعة رسول الله ﷺ.

قالَ: (ودليلُ الملائكة قوله تعالى: {وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيّينَ أَرْبَابًا})

وجاءَ النَّهي الواضح في كتاب الله عن ذلك؛ إذ قد وُجِد وحصلَ فدَّل أنَّ هذا شرك.

قالَ: (ودليلُ الأنبياء قوله تعالى :{ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ) أي هذا لا أفعلهُ ولا أقولهُ إذ أقْرَرتُ بتوحيدِ الله واستسلمتُ لله

كيفَ أقولُ ما ليسَ لي بحق؟

({إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ})

{وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ}.

إذ قد عُبِدَ من غير الله سبحانه وتعالى.

قالَ: (ودليلُ الصَّالحين قولهُ تعالى: {أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ })

دليلٌ أن هناك من عَبَدَ الصالحين من البشر، وصَرفَ إليهم ما لا يحقُّ صرفهُ ولا يجوزُ صرفهُ إلَّا للهِ عزَّ وجل؛ فقد سَوَّى بين اللهِ عز وجل ورجلٍ صالحٍ في العبادة؛ فبيَّن الله سبحانه وتعالى أنَّ هٰؤلاء الذين يدعونَ أي - الذين يعبدونَ - من قوم صالحين

هؤلاء الصَّالحونَ الذين يُعْبَدونَ هم قوم يبتغونَ إلى ربِّهم الوسيلة؛ يبحثونَ عن مرضاتهِ بالطُّرقِ التي شرعها؛ في العبادة التي بَيَّنها الوسيلة أي الطَّاعة والقُربة؛ فكلُّ عِبادةٍ شرعها الله عز وجل فهي وسيلةٌ للقُربةِ ووسيلةٌ لرجاءِ وتحصيلِ الرَّحمة ووسيلة للنَّجاةِ من عذابهِ؛ ودليلٌ إذا فَعلها الانسان كَمَا أرادَ الله عزَّ وجل منهُ فإنه يخافُ عذابَ ربِّهِ.

{أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ}

فكيفَ إذن تَصرِفونَ لهم العبادة؟

وكيف تعبدونهم وهم قومٌ عَلمِوا ضَعفهم عَلمِوا حالهم؟

عَلمِوا أنَّهم بحاجةٍ لرحمةِ الله فتوَّجهوا بالطَّاعة والقُربة إلى معبودِهم الواحد؛ ولم يعبدوا غيرهُ؛ وخافوا عذابهُ وأرادوا رحمتهُ والقربةَ منهُ، هم لم يعبدوا غيره؛ فكيفَ تعبدونهم؟ وتسلكونَ غير طريقِهم المحمودة؟؛ هذا ثناءٌ من اللَّه عزَّ وجل عليهم؛ فإن كنتم صادقين اتَّبِعُوا طريقَ الأنبياء والصَّالحين الذين اتَّبعوا الأنبياءَ واتَّبعوا ما أنزلَ اللهُ على الأنبياء؛ لا تُفَسِّروا الوسيلة بغيرِ معناها؛ لا تُفَسِروها بطلبِ الشَّفاعة من الصَّالحين ولا تفسِّروها بالنَّذرِ لهم؛ والحَلف بهم؛ والطَّوافَ بقبرِهم وتقولون إن اللَّهَ قد ذكرَ أنَّ الصَّالحين يبتغونَ إلى رَبِّهم الوسيلة؛ **الوسيلةُ هي الطَّاعة والقُرْبَة التي شَرَعَها اللَّهُ عزَّوجل**؛ فالَّذي يقول أن الوسيلة معناها الواسطة من خلق الله؛ فهو من أجهل النَّاس بأهم معاني القُرآن بأهم ما يدلُّ عليه القُرآن من توحيد العبادة.

فالوسيلةُ هي الطَّاعة التي تُقَرِّب إلى الله من عبادةٍ وصلاةٍ وصومٍ وزكاةٍ ونحو ذلك؛ وتَوَّسّل إليه بأسمائهِ وصفاتهِ الحسنى والدعاء فهو الطاعة.

قالَ: (ودليلُ الأشجاروالأحجارقولهُ تعالى: {أَفَرأَ يْتُمُ اللَّاتَ والْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ })

هذهِ الآية جمعتْ بينَ ذِكر **اللّات**- قيلَ هو رجلٌ صالح كان يلتُّ طعامًا ويطعمهُ للحُجَّاج فلما مات بَنوا على قبرِهِ بيتًا ثُمَّ عبدوهُ من غيرِ الله- **والعُزَّى**- هي شجرة أو شجرات في وادٍ بينَ مكة والطائف. - **ومَنَاة** صخرةٌ كبيرة

فبيَّن الله في هذه الآية ضلالَ القومَ الذين يعبدونَ اللّات والعُزى ومَنَاة الثالثة الأخرى

أفرأيتم هذه المعبودات من غيرِ الله؟

هل ستُنجيكم من عذاب الله؟

هل تَشفيكم من مرض؟ هل تُغنيكم من فقر؟

هل تَنصركم هل تنفعكم؟ هل تخلق أو ترزق هل تعطي هل تمنع؟

الجوابُ واضح والجوابُ معلوم لكلِّ ذي عقلٍ وعى عن الله سبحانه وتعالى.

قالَ (**وحديث أبي وا قدٍ الليثي - رضي الله عنه - قال خرجنا مع النبي ﷺ الي حُنين ونحنُ حُدَثاءُ عهدٍ بكفرٍ وللمشركينَ سِدرةٌ يَعكُفُونَ عِندها وَيُنَوطُونَ بِها أسْلحَتهم يُقَالُ لها ذاتُ أنْوَاط**)

- يعني يضعون هذه الأسلحة ويربطونها بها رجاء البركة -؛

(**فَمَرْنا بِسِدرةٍ فَقُلنا: يا رسولَ اللّهِ اجْعَلْ لنَا ذاتَ أنْواطٍ كَما لَهُم ذاتُ أنواطٍ**)

هذا الحديث المعروف.

فهذا الحديث دلَّ على أنَّ هناك قوم تعلَّقوا بشجر طلبوا من الشجر في الجاهلية؛ وكذلك الأحجار، كذلك الأنبياء والصالحين والشمس والقمر كلُّ هذا في الشرك سواء فهو شرك

الشرك صرف عبادة لغير الله عزَّ وجل وتسوية غير الله بالله.

فالشَّاهد والمقصودُ من هذه القاعدة أن لا نُفَرِّق بين نوع من المعبودات

فكلمة لا إله إلا الله: لا معبودَ بحقٍّ إلَّا الله؛ لا يُعْبَد إلا الله

كلُّ من عبد غير الله فهو مشرك. لا فرق بين من عبد شجراً ومن عبد قمرا ومن عبد وليًا ومن عبد نبيًا ومن عبد رجلا صالحًا فالنَّبي ﷺ لم يفرق بين ذلك والله عزَّ وجل لم يُفَرِّق في كتابه بين ذلك والله أعلم وصلَّى الله وسلم على نبينا محمد

الدرس الخامس من شرح القواعد الأربعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العالمين وصلَّى الله وسلم على نبيهِ مُحمَّد وآلهِ وصحبهِ أجمعين أمَّا بعد:

قالَ- رحمهُ الله- : (**القاعدةُ الرا بعة : أن مشركي زماننا أغلظُ شركًا من الأوَّلين؛ لأنَّ الأوَّلين يُشركونَ في الرَّخاء ويُخلِصونَ في الشِّدَّة؛ ومشركو زماننا شركهم دائم في الرَّخاء والشِّدَّة والدليلُ قولهُ تعالى:{ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ }**)

بَيَّنَ - رحمهُ الله- في هذه القاعدة الأخيرة في هذه الرسالة المُفيدة أنَّ الأولينَ من المشركين يعني المشركينَ الذينَ كانوا في السَّابقِ كانوا يدعونَ من غيرِ الله ما يدعون منَ الأحجارِ والأشجار والملائكة والأولياء يدعونهم في وقت الرَّخاء والسَّعة ويتوَّجهون إليهم بأصنافِ العبادة؛ فإذا صاروا في شِدَّةٍ، أو أشرفوا على الهلاك، أو صادفوا موقفاً احتاجوا فيه أن يطلبوا الغوثَ والملجأَ أعرضوا عن تلك المعبودات؛ لم يُقبلوا إليها؛ ولم يطلبوا منها ؛ إنَّما توَّجهوا مُخلصين بدعائهم إلى الله؛ فلم يدعوا صنماً ولا حجراً ولا ولياً ولا أحداً إلا الله؛ هذا في حال الشِّدَّة وحال الإشراف على الهلاك دَعَوْا الله مُخلصينَ لهُ الدِّين؛ جعلوا دعاءهم للَّهِ خالصًا وهذا من آثار ما تقدَّمَ من القواعد ما ذكرهُ المؤلف - رحمهُ الله - أنهم يؤمنون بربوبية اللهِ وتفرّدهِ في الربوبية وأفعال الخلق والرزق والتدبير والمُلك هذا أثرٌ من آثار إقرارهم بتوحيد الرُّبوبية بأنهم إذا أشرفوا على الهلاكِ أو صادفوا موقفًا احتاجوا فيه لطلبِ الغوث استغاثوا بالله ودَعَوُا الله مُخلصينَ لهُ الدِّين يطلبون النَّجاة فلمَّا نجّاهم إلى البرِّ إذا هم يشركون يعني عادوا إلى ما هم عليه،

وهذا بخلافِ قوم جاءوا من المُتأخرينَ أشركوا بالله عزَّ وجلّ في الشِّدَّةِ والرَّخاء؛ في الرَّخاءِ والشِّدَّة، تجدُ كثيرا منهم يزدادُ شركهُ في حالِ الشِّدَّة؛ ويظهرُ أكثرَ ممَّا كانَ في حالِ الرَّخاء؛ فإذا وقعَ في شِدَّةٍ وقعَ في مشكلةٍ وقعَ في مُصيبةٍ طلبَ الغوثَ من غير الله؛ طلبَ المُساعدةَ من غير الله؛ توَّجَهَ إلى غيرِ الله عزَّ وجل؛ فطلب المددَ والمُساعدة ممَّا هو فيه من غير الله؛ كما يحصلُ لكثير منهم اليوم ينادونَ الحسنَ والحُسين وغيرهم كالبدوي والجيلاني وغيرهم؛ وهذا من أكبر الضَّلال أن يُعرضوا عن الله عزَّ وجل؛ وهذا فرقٌ بين المُشركينَ من الأوَّلين والمشركينَ في هذا الزَّمان؛ ولا يعني هذا أن مُشركي الزَّمن الأوَّل أحسن من مُشركي هذا الزَّمن في كل شيء؛ بل تجدُ من مشركي الزَّمن الأول من هم أَشدُّ وأَسوأ وأكثرُ حِقداً على المسلمينَ وسَعَوْا في قتلِ رسولِ الله ﷺ؛ وسبِّهِ وشتمهِ ونحوِ ذلك؛ لكن لا يعني هذا أن مُشركي هذا الزَّمان مِمَّن يُقرُّونَ بنبوة محمد ﷺ ويدَّعونَ له المحبَّةَ أنَّهم موحدون وأنَّهم من أهلِ الإيمان، وأنهم من أهلِ النَّجاة؛ لكن هذه مُقارنة

لهم في هذا الشِّرك؛ ليست مُقارنة لهم في سائر الأعمال؛ لكن مقارنة لهم في هذا الشرك؛ هذا مُشرك وهذا مُشرك ولكن هذا المُشرك يشركُ بالله عزَّ وجل في رخاءِهِ ثُمّ في الشِّدة يُخلِص؛ هذا لا يُنَجّيهِ منَ الشِّرك؛ وإنه لم يتب منه؛ وذلك مشركٌ في الرَّخاء والشِّدة كلاهما فيه شرٌّ كبير وكفرٌ كبير وضررٌ خطير؛ لكن المقصود من هذه المُقارنة من هذا الباب من باب مُعيَّن؛ مُقارنة مُعيَّنة في هذا الأمر.

وقد استدَّل الشيخ رحمه الله بقوله تعالى: {فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ}

وفي هذا إلزامٌ للمشركينَ بإقرارهم بوحدانية الله عزَّ وجل في ربوبيته؛ ودعائهم له في حال الشِّدَّة عند ركوب البحرِ وحصول الخطر من أمواج والإشراف على الهلاك أن يدعوه وحده في سائرِ أحوالهم كَما دَعوه وحده في تلك الحال؛ فليدعوه وحدهُ في سائر أحوالهم وليتوبوا من شِركهم وغيِّهم وضلالهم؛

فالعبد المخلوق هو عبدٌ لله عزَّ وجل في كل أحوالهِ في الفقر والغِنى، وفي الشِّدَّةِ والرَّخاء؛ فيجبُ أن يَعبُدَ الله عزَّ وحل في كلِّ أحواله؛ { وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ} يعني حتى الموت؛ كُنْ موحِّدًا لله عزَّ وجل؛ لا تعبد غير الله عزَّ وجل؛ هذا هو الذنبُ الأكبر عبادة غير الله عزَّ وجل؛ الشركُ بالله عزَّ وجل هو الذنبُ الذي لا يغفرهُ الله سبحانه وتعالى؛ فيجبُ أن نتعلَّمَ خطورةَ هذا الأمر؛ وأن ندركَ أهميتهُ وأن لا نكونَ ممَّن زاغوا في هذه الأيام وزعموا أنَّ الشركَ لا يقع من المسلمين وأنه لا خوف عليهم من ذلك الباب؛ نعم لا خوف على الأمَّة بمجملها بكاملها أن ترتدَّ جميعًا؛ لكن أفرادٌ منهم يقعون؛ أفرادٌ منهم يقعون في عبادة غير الله عزَّ وجل والتوَّجهُ لغيرِ الله عزَّ وجل؛ والتعلق بهم تعلقًا شِركياً ؛بل من المُرَّغب فيه والمطلوب بل واللازم أن نتعلَّقَ بالصالحين أو ونتعَّلقَ بأعظم الخلق - الأنبياء- أن نتعلَّقَ بالصَّحابة تعلُّقًا شرعياً بمعنى أن نقرأَ سِيَرهم ونأخذَ من رسول الله ﷺ الآدابَ والأخلاق؛ ونستجيبَ للأوامر، وننتهي عن النواهي والزواجر؛ وأن نقرأَ نصائحهم وتوجيهاتهم وترغيبهم وترهيبهم؛ أن نقرأ سير الصالحين ونفهم ما كانوا عليه من عملٍ صالح وأن نرافق ونجلس مع العلماء وأن نستفيد منهم؛ لا نعبدَ رجلًا ونتعلق به تعلُّقًا شِركيًا نطلبَ منه المَدد، ونطلبَ من الغوث، ونطوفَ بقبره، ونذبحَ له؛ فمحبَّة الصالحين لا بُدَّ ان تكون محبَّة شرعيَّة لله عزَّ وجل؛ أمّا إذا كانت محبَّةً شركيَّةً فهذا هو الهلاك الأكبر والذنبُ الأخطر.

نسألُ الله عزَّوجل أنْ يُجنِّبنا الشِّركَ ما ظهرَمنه وما بطن؛ وأن نكونَ ممَّن استفادَ من قراءةِ هذه الرِّسالة وصلى الله وسلم على نبيه مُحمَّد.

!!!!!!!!!!